

خطبة الجمعة - الخطبة ٣٧٠ : خ ١ - أحاديث نبوية تبدأ بكلمة (أفضل ٢ ..... ) ، خ ٢ - عدد الخلايا وأعمارها.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٢-١١-١٩٩١

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده ، ونستعين به ونسترشد ، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهدى الله فلا مضل له ، ومن يضل فلن تجد له وليناً مرشدًا . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جد به وكفر . وأشهد أن سيدنا محمداً صلي الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر . اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه وعلى ذريته ، ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين . اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممن يستمدون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### النفس البشرية تتوق إلى الأفضل والأجمل :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ كان موضوع الخطبة السابقة أن الإنسان ينطوي على نفس فطرها الله فطرة عالية ، وهذه الفطرة تشتمل على قوانين ، على مسلمات ، على أسس ، على مبادئ ، وبينت في الخطبة السابقة بعضاً من هذه المبادئ ؛ كيف أن النفوس جابت على حبّ من أحسن إليها ، وعلى بعض من أساء إليها ، كيف أن الإنسان خلق ضعيفاً ، كيف أن الإنسان خلق عجولاً ، كيف أن الإنسان خلق هلوعاً . هذه المبادئ ، وهذه الخصائص ، وهذه السنن ، وتلك القوانين لصالحه ، لصلاح معرفته بربه ، لصلاح إيمانه ، لصلاح سعادته في الدنيا والآخرة ، وبينت لكم أن من بين هذه القوانين أن النفس البشرية في جبلتها ، وفي طبيعتها ، ومن خصائصها أنها تتوق إلى الأكمel ، إلى الأجمل ، إلى الأحسن ، إلى الأقوى ، إلى الأعظم ، وفي شؤون الدنيا يختار الإنسان دائماً وأبداً الأفضل ، إن في شراء البيت ، وإن في اختيار العمل ، وإن في شراء المركبة ، وإن في البحث عن الأصدقاء ، دائماً تتوق النفس إلى الأكمel ، وقد تسائلت وعجبت ، كيف أن الإنسان في شؤون الدنيا يختار الأجمل ، والأفضل ، والأكمel ، والأحسن ، والأمن ، والأقوى ، ولا يختار في شؤون دينه الذي هو عصمة أمره ، كيف لا يختار في شؤون دينه الذي هو لحمه ودمه ، كيف لا يختار في شؤون دينه الذي هو مصيره ، إما إلى جنة يدوم نعيمها ، وإما إلى نار لا ينفد عذابها ، لم لا يختار في شؤون دينه الأفضل ؟

## أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علماً ويطبقه ثم يعلمه أخاه المسلم :

كانت هذه المقدمة منطلقاً لشرح عدة أحاديث شريفة ببدأها النبي عليه الصلاة والسلام بكلمة أفضل .. وقد شرحت الأسبوع الماضي قول النبي عليه الصلاة والسلام : ((أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت ))

[أبو نعيم عن عبادة بن الصامت]

وأفضل الدعاء أن تسأل ربك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة ، وأفضل الصدقة أن تشبع كبدًا جائعة .. واليوم :

### ((أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علماً ثم يعلمه أخاه المسلم ))

[بن ماجة عن أبي هريرة]

لأنه من أحياها فكانما أحيا الناس جميعاً .. "أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علماً ثم يعلمه أخي المسلم " . وقد نقف وقفة عند ثم ، ثم : حرف عطف ، يفيد الترتيب على التراخي بينما الفاء هي حرف عطف يفيد الترتيب على التعقيب ، فلم قال النبي عليه الصلاة والسلام - وهو لا ينطق عن الهوى ، وهو الذي أotti جوامع الكلم ، وهو الذي يُعد أصح العرب ، والذي يُعد كلامه أصح كلام بعد القرآن - لم قال النبي العدنان :

((أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علماً - ولم يقل فيعلمه ، ولم يقل ويعلمه ، قال - ثم يعلمه أخيه المسلم ))

شراح الحديث قالوا : إن بين تعلم العلم وتعليمه مرحلة ، هذه المرحلة إن لم تكن فلا جدوى من التعليم ، إنها مرحلة التطبيق ، تعلم وطبق وبعدها علم : "يا عيسى ابن مريم - كما ورد في بعض الكتب - عظ نفسك فإذا وعظتها فعظ غيرك وإلا فاستح مني ".

فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول : "أفضل الصدقة .." لو أعطيت هذا الفقير مالاً فشبّع أليست هذه صدقة ؟ نعم ، ولكن هذا الشبع ألا ينتهي عند الموت ؟ لو أطعنته إلى أن يموت ، لو تكللت برزق فقير معدم أطعنته حتى الموت ، وجاء ملك الموت ، انتهت آثار هذا العمل ، لوكسوت فقيراً حتى الموت ، لو أسكنت فقيراً في منزل من أرقى مستوى حتى الموت ، كل هذه الأعمال على أنها جليلة ، وعلى أنها عظيمة ، وعلى أن الله يكافئ عليها أضعافاً كثيرة لكن هذه الأعمال تنتهي عند الموت ، ولكنك إذا علمت إنساناً ، عرفته بالله عز وجل ، وعرفته بمنهجه ، وحملته على تطبيق منهجه الله ، وزكريت نفسه ، واعتنيت به ، إلى أن صار مؤمناً يرضي الله عنه ، إن هذا العمل لا ينتهي عن الموت ، بل يبدأ بعد الموت ، هذا العمل يسعد إلى أبد الآدبين ، فهذا الذي عناه المصطفى صلى الله عليه وسلم حينما قال :

((يا علي لأن يهدى الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس ))

[الحاكم عن أبي رافع]

## (( خير لك من حمر النّعْم ))

[أبو داود عن سهل بن سعد الساعدي]

أن يتعلم المرء علماً وبطبقه ثم يعلمه أخيه المسلم ؛ لأن الناس إليها الأخوة لا يتعلمون بآذانهم ، لا والله ، يتعلمون بعيونهم .

### لغة العمل أبلغ من لغة القول :

أيها الأخ الكريم ؛ كنت أقول دائماً : إنه بإمكانك أن تكون أكبر داعية في الأرض وأنت ساكت ، لأن لغة العمل أبلغ من لغة القول ، لأن موقفاً أخلاقياً أفضل من ألف محاضرة ، لأن عفة عن الحرام أبلغ من ألف درس تستمع إليه ، لأن المواقف أفضل من كل كتب الأخلاق ، موقف أخلاقي واحد ، موقف فيه نزاهة ، فيه احترار للمادة ، وتعظيم للمبادئ ، هذا الموقف في فعله وتأثيره أبلغ من آلاف المحاضرات . لذلك قال بعض الحكماء : إن الكثرين يستطيعون أن يتحذوا عن الفضائل الخلقية ، ما من إنسان إلا ويتكلم بالأخلاق والأمانة والصدق وكذا ، وفلان كذا . ولكن القليلين هم الذين يعيشون مكارم الأخلاق . دائماً وأبداً كنت أضرب هذا المثل . أن تقول ألف مليون ، بينما أن تقولها بلسانك وليس في جيبك ليرة واحدة ، وبين أن تملكها ، شتان بين أن تقول هذا الرقم ، بين أن تلفظه أو بين أن تكتبه ، أو بين أن تقرأ ، وبين أن تملكه . فالحديث عن الفضائل كالحديث عن الأرقام الكبيرة ، لكن أن تعيش هذه الفضائل تماماً كأن تملك هذه المبالغ الكبيرة .

فيما إليها الأخوة الأكارم ؛ أنت كأب الأبوة مسؤولة ، والأبوة الكاملة والحانينة عمل يكفي لدخول الجنة ، أب ربى أولاده تربية إسلامية صحيحة ، وعطف عليهم ، وبذل من أجلهم كل شيء ، حتى أصبحوا عناصر مفيدة في المجتمع ، هذا العمل يكفي لدخول الجنة ، وأم رؤوم رب بناتها تربية صالحة ، تربية أساسها العفة ، أساسها الحفظ ، أساسها الصدق ، أساسها معرفة حقوق الزوج ، هذه الأم بإمكانها أن تلقى الله بعلمها ، وأن تدخل بعملها الجنة . والبنوة الكاملة عمل يمكن أن تلقى الله به ، وأن تدخل الجنة . والحرفة إذا أتقنها ، ونصحت المسلمين ، ولم تكذب عليهم ، ولم تدلس ، ولم تستغل حاجتهم ، أردت نفع المسلمين ، وكفاية نفسك ، وخدمتهم ، ولم تلهك عن فريضة ، ولا عن مجلس علم ، كانت هذه الحرفة عبادة خالصة يمكن أن تلقى الله بها . ما بال السلف الصالح كانوا إذا صنعوا شيئاً أو تاجروا يخافون الله في المسلمين الذين يتعاملون معهم ؟ حتى إني سمعت أن السلف الصالح كان إذا فتح باب دكانه ، كان يقول: نويت خدمة المسلمين ، أين نوايا السلف الصالح من نوايا من هم معاصرؤن ؟ هدفه الربح فقط ، ليحيا هو وليمت أكثر الناس ، هدفه أن يبني ماله على فقر الناس ، أن يبني مجده على أنقاضهم ، أن ينبعي حياته على موتهم ، أن يبني أنه على خوفهم .

أيها الأخوة الأكارم ؛ أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علمًا ثم .. بين يعلم وبين يوجد مرحلة، إنها التطبيق . ولعمري لو أن أحذنا جلس في خطبة ، أو في مجلس علم ، واستمع إلى شيء قيم من كتاب الله ، أو من سنة رسوله ، وأراد أن يحفظ ، وكتب ، وسجل ، وذاكر ، ثم جلس في مجلس ، ووضح هذا الذي تعلم ، لقد أفلح ، وقد تصدق بأفضل صدقة ذكرها النبي عليه الصلاة والسلام .

### تعليم العلم أفضل من إنفاق المال :

في حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام :

(( ما من صدقة أعظم عند الله من كلمة حق ))

لعل كلمة الحق ترد إنساناً نائماً ، لعل كلمة الحق تهدي إنساناً ضالاً ، لعل كلمة الحق توقف معصية وبيلة ، لعل كلمة الحق تؤلف بين رجلين ، تؤلف بين زوجين ، تحفي أسرة طيبة ، كلمة الحق ، هذه الكلمة التي قال الله عنها :

**﴿إِنَّمَا تَرَكَبُ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتَى أَكْلَاهَا كُلُّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتَثَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾**

[سورة إبراهيم: ٢٤-٢٦]

أيها الأخوة الأكارم ؛

(( عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخْطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهُوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ))

[متفق عليه عن أبي هريرة]

فذلك قد تستمع إلى خطبة ، وقد تحضر مجلس علم ، أثناء الخطبة وأثناء مجلس العلم ترتاح ، لأن الحق مريح ، لأنه كلام ربنا ، لأنها مائدة الله عز وجل ، ولكن هل جربت أن تعيد ما سمعت ؟ لابد من جهد ، لابد من مذاكرة ، فالذى يتمنى أن يطبق هذا الحديث ، أن يتعلم علمًا ثم يعلمه أخاه المسلم إذا عاد إلى البيت ، لابد من أن يقول ماذا قيل اليوم ، وماذا قيل حول هذا الحديث ، وحول تفسيراته ، وحول مدلولاته ، وحول أبعاده ، وحول مضمونه ، وحول كلماته ، وماذا أراد النبي من هذا الحديث ، ولم كان تعليم العلم أفضل صدقة؟ لم يكون تعليم العلم أفضل من إنفاق المال ؟ لأن إنفاق المال على عظم شأنه ينتهي عند الأجل لكن تعليم العلم يستمر إلى أبد الآدبين . ((إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَى مِنْ ثَاثٍ ؛ صَدَقَةً جَارِيَةً ، وَعِلْمًا يَتَفَقَّعُ بِهِ ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ))

[مسلم عن أبي هريرة]

حديث آخر متعلق بكلمة أفضل كما بدأها النبي عليه الصلاة والسلام حيث يقول :

((أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ...))

[الطبراني في الكبير في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة]

لأن الإيمان بالله أساس الفضائل ، لجام الرذائل ، قوام الضمائر ، سند النفس في العزائم ، جاء أحد أصحاب رسول الله أبو ذر الغفاري ، قال :

(( يا رسول الله ماذا ينجي العبد من النار ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : إيمان بالله ، فقال أبو ذر رضي الله عنه أمع الإيمان عمل ؟ قال : نعم ، أن ينفق مما رزقه الله ))

[شعب الإيمان عن أبي ذر]

أن ينفق علمه ، أن ينفق ماله ، أن ينفق عضلاته ، أن ينفق خبرته ، أن ينفق وقته ، أن ينفق جاهه ، أن ينفق مكانته في سبيل الله . قال : فإن كان لا يستطيع أن ينفق . فقال عليه الصلاة والسلام :

(( ليأمر بالمعروف ، ولينه عن المنكر . قال أبو ذر رضي الله عنه : فإن كان لا يستطيع أن يفعل . قال : ليعن الأخرق - ليعن الإنسان ضعيف الملكات - قال أبو ذر : فإن كان لا يستطيع ، قال : أما ترى أن تترك لصاحب من خير ؟ ))

[شعب الإيمان عن أبي ذر]

من هذا الإنسان الذي لا يستطيع أن يؤمن ، ولا أن يعمل ، ولا أن ينفق ، ولا أن يأمر ! ليكتف آذاه عن الناس . قال : أو إن فعل يدخل الجنة ؟ هنا الجواب ، قال عليه الصلاة والسلام :

(( ما من عبد مسلم يأخذ خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة ))

أي في الإسلام طابع بالتعبير الحديث ديناميكي ، كل عمل صالح ينقلك إلى عمل أرقى ، وكل عمل أرقى ينقلك إلى أرقى وهكذا ، ما من عبد مسلم يصيّب خصلة من هذه الخصال إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة . أنت إذا صمت على ألا تؤذني مخلوقاً ، هذه بداية طيبة ، لا بكلمة ، ولا بمزحة ، ولا بنظره ، ولا بدعوان على مال ، أو عرض أبداً . إذا صمت ألا تؤذني مخلوقاً ، شعرت أن الله يحبك ، الآن تنتقل إلى مرحلة أعلى ، تبدأ بالإحسان ، تحسن إلى الناس بمالك ، ولكن إذا ارتقيت إلى هذا المستوى تنتقل إلى مرحلة أعلى ، فلذلك يقول النبي الكريم : " المغيبون من تساوى يوماً " ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، دائمًا حاسب نفسك ؛ يا ترى أنا هذا الشهر كالشهر السابق في صلاتي ؟ في تفكري ؟ في تلاوتي ؟ في فهمي لكلام الله ؟ في حجم عملي الصالح ؟ من لم يكن في زيادة فهو في نقصان ، لأن الحياة تتحرك ، فإذا توقفت عند مرتبة واحدة كنت مسبوقة ، سُبُقت .

## التودد إلى الناس من أفضل الأعمال :

أيها الأخوة الأكارم :

### ((أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله ))

[الطبراني في الكبير في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة]

لأن الإيمان بالله عمل ، أما أن تظن أن الإيمان بالله كلمة تقولها ، هذه الكلمة التي تقولها لا تصمد أمام الشهوات ، وهذه الكلمة التي تقولها لا تصمد أمام الضغوط ، الضغوط والشهوات يحطم كلها فلتتها بلا بحث ولا علم ، ولا تفكير ولا تدبر ، لذلك من أجل الأعمال أن تؤمن بالله ، إنك إن آمنت بالله صلح عملك ، وإذا صلح عملك استحققت دخول الجنة كما قال الله عز وجل :

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[سورة النحل: ٣٢]

### ((أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس ))

[الطبراني في الكبير في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة]

لماذا ؟ لأن التودد إلى الناس يفتح لك قلوبهم ، لأن التودد إلى الناس يفتح لك عقولهم ، لأن الإنسان جبل - كما قلت في مطلع الخطبة - على حب الإحسان ..

(( يا داود ذكر عبادي بإحساني فإن النفوس جبت على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها ))

[حديث قنسى رواه البيهقي عن عمير بن وهب]

فإذا توددت إلى الناس ، هنا قال العلماء : التودد شيء ، والمداهنة شيء آخر . التودد : بذلك الدنيا من أجل الدين . أما المداهنة فبذلك الدين من أجل الدنيا . أنت حينما تضحي بيديك ، عندما تضحي بعقيدتك ، حينما تضحي بصلاتك ، حينما تضحي بصيامك ، إرضاء لزيد ، أو عبيد فأنت أكبر مداهنة . من هو المداهنة ؟ الذي يبذل دينه ، مبدأه ، قيمة من أجل الدنيا ، من أجل مكسب مادي ، من أجل منصب زائل . لكن المؤمن لا يداهنه ولكن يُداري ما المداراة ؟ المداراة : بذلك الدنيا من أجل الدين ، أي هذا الذي تحب أن تهديه إلى الله له مشكلات ، فإذا حللت بعض مشكلاته ، فقد مال نحوك ، فتح قلبك ، ففتح عقله لك ، ففتح أذنه لك ، ولن تفلح في تعليم الناس العلم إلا إذا توددت إليهم ، لن تفلح في تعليم الناس العلم إلا إذا خدمتهم ، لن تفلح في تعليم العلم إلا إذا داريتهم ، أي بذلك دنياك من أجل دينهم ، ولربّ رجل يهتدى بهذه الطريقة خير لك من الدنيا وما فيها . فلهذا قال عليه الصلاة والسلام :

### ((أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس ))

[الطبراني في الكبير في مكارم الأخلاق عن أبي هريرة]

والآن يقول عليه الصلاة والسلام :

((أفضل المسلمين إسلاماً من سلم المسلمين من لسانه ويده ))

[أخرجه ابن النجاش عن ابن عمر]

معنى هذا الحديث أن للمسلمين كياناً معنويّاً ، للMuslimين سمعة ، للمسلمين مكانة علية ، فإذا أساء المسلم لغير المسلم فقد سبب لسمعة المسلمين متابعاً ، إذا أساء المسلم لغير المسلم فقد سبب لمكانة المسلمين اضطراباً ، فالمسلم الحق سفير الإسلام ، ويقف الموقف الكامل في عمله ، وفي وعده ، وفي مزحه ، وفي جده ، وفي أخذه ، وفي عطائه يقف الموقف الكامل حتى لا يسبب لمجموع المسلمين ، ولا لكيانه المعنوي ، ولا لسمعتهم العطرة سمعة سيئة ، فالمسلم الحق دائماً يتمنى الناس أن يكونوا مثله ، المسلم الحق يتمنى من حوله أن يقتربوا إليه . أما هذا الذي ينفر الناس منه ، ويشمئرون من معاملته ، ومن إخلاف وعده ، ومن كذبه فهذا ليس مسلماً كما أراد الله عز وجل ، هو انتقام شكليّ ، وليس انتقاماً حقيقياً . فلذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((أفضل المسلمين إسلاماً من سلم المسلمين من لسانه ويده ، وأفضل المؤمنين إيماناً أحسنهم

خلقاً - وفي رواية - من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم ))

أي الأمن شيء والسلامة شيء ، المسلم لابد من أن يسلم الناس منه لكن المؤمن لا يكتفى أن يسلم الناس منه ، يجب أن يطمئنوا له ، أن يعيشوا في أمن تجاهه ، لأن السلامة عدم حدوث المكرر ، والأمن عدم توقع المكرر ، والفرق كبير بينهما . أنت من خوف الفقر في فقر ، ومن خوف المرض في مرض ، وتتوقع المصيبة مصيبة أكبر منها ، المؤمن لا يؤذى أحداً ، لكن المؤمن لا يتوقع الناس منه شيئاً ، ينامون مطمئني البال ، المسلم لا يؤذى ، لكن المؤمن لا يتوقع منه الأذى ، فالناس مع المسلم في سلام ، ومع المؤمن في أمان . لذلك قال عليه الصلاة والسلام :

((والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن الذي لا يأمن جاره بوانقه ))

[البخاري عن أبي هريرة]

أي جارك تخاف أن يشتكي عليك ، تخاف أن يوقع الأذى بك من طرفه ، هذا ليس مؤمناً ، إذا خفت من شخص ، خفت أن يقصك ، أن يمد يده إليك - هو لم يفعل - لكن إذا خفت أن يفعل هو ليس مؤمناً ، لابد من أن تأمنه ، لابد من أن تشعر تجاهه بكل راحة .

((المُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَ النَّاسُ وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلَمَ الْمُسْلِمُونَ مَنْ لَسَانَهُ وَيَدَهُ ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

((أفضل المؤمنين إيماناً من أمنه الناس على أموالهم ودمائهم وأعراضهم ))

وأفضل المهاجرين ؟ الهجرة انتهت بين مكة والمدينة ، انتهت بفتح مكة ، ولكن الهجرة قائمة :

## ((المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ))

[البخاري عن عبد الله بن عمر]

**أفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله عنه وأفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهو أكـ**

لذلك ورد في الحديث :

## (( عبادة في الهرج والفتنة كهجرة إلى ))

[الطبراني عن معاذ بن يسار]

هناك طرقات فيها نساء كاسيات عاريات ، مثلاً مميلات ، في مجتمع أكثر كسبه حرام ، في مجتمع منتقل ، في مجتمع المنكر فيه معروف ، والمعروف فيه منكر ، في مجتمع يؤمر بالمنكر فيه ، وينهى عن المعروف . هذا الذي عناه النبي حين قال :

(( اشتقت لأحبابي ، قالوا : أو لسنا أحبابك ؟ قال : أنتم أصحابي ، أحبابي الذين يأتون في آخر الزمان القابض منهم على دينه كالقابض على الجمر ))

[الترمذى عن أنس]

الحقيقة أن متاعب المؤمنين أحياناً من ذويهم ، من أسرهم ، من أقاربهم ، أي إذا أراد الشاب أن يطبق أمر الله وجد المعارضة من ذويه ، ومن جيرانه ، ومن أقربائه ، ومن حوله ، ومن زملائه ، يتهمونه بالخرق ، والانحراف .

(( كيف بكم إذا أصبح المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟ كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ ))

[ابن أبي الدنيا في كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

من حديث أبي أمامة قال :

(( كيف أنتم إذا طغى نساوكم وفسق شبانكم وتركتم جهادكم ؟ قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه يا رسول الله ؟ قال : كيف أنتم إذا لم تأمرروا بمعرفة ولم تتهوا عن منكر ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه ؟ قال : كيف أنتم إذا رأيتم المعروف منكراً والمنكر معروفاً ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون . قالوا : وما أشد منه ؟ قال : كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف ؟ قالوا : وكائن ذلك يا رسول الله ؟ قال : نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون ، يقول الله تعالى : بي حلفت لأنني لهم فتنة يصير الحليم فيها حيراً ))

[آخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف دون قوله "كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف" ورواه أبو يعلى من حديث أبي هريرة مقتضاها على الأسئلة الثلاثة الأولى وأحوبيتها دون الآخرين ، وإسناده ضعيف]

وأفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله عنه . وأفضل الجهاد أن تجاهد نفسك وهو أكـ .

## أفضل الفضائل :

لا زلنا في كلمة أفضل والحديث الأخير الذي رواه الإمام الطبراني يقول عليه الصلاة والسلام :

((أفضل الفضائل أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتصفح عن ظلمك))

[الطبراني عن معاذ بن أنس]

هذه الفضائل الثلاث لا يستطيعها إلا رجل له باع طويل في الإيمان ، نفسه تحت قدمه ، لا يثار لها ، ولا يتمشى مع حظوظها ، ولا يجبن عن مواجهة خصوصه بالصفح والغفران . لذلك :

((أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وتصفح عن ظلمك))

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتنمى على الله الأماني ..

\* \* \*

## الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## عدد الخلايا وأعمارها :

أيها الأخوة الكرام ؛ قبل أسبوعين تحدثت عن الخلية ، وقلت وقتها : إن عدد الخلايا في الجسم البشري يزيد عن مئة ألف مليون أو يزيد عن مئة ألف بليون ، أو يزيد عن مئة تريليون ، أي يزيد عن مئة ألف مليون ، هذه الخلية لا يمكن أن تراها بالعين المجردة إلا إذا كبرت مئة وأربعين مرة ، وزن هذه الخلية واحد من ألف مليون من الغرام أي ألف مليون خلية ، إذا وضعت في ميزان تزن غراماً واحداً ، وأن الجسم يستهلك في كل ثانية مئة وخمسة وعشرين مليون خلية ، هذا تحدثنا عنه قبل أسبوعين .

ولكن الشيء الذي يلفت النظر في هذه الخطبة أن الخلية لها نواة - وتحدثنا عنها في خطبة تابعة - عليها المورثات ، خمسة آلاف مليون معلومة ، اكتشف منها حتى الآن ثمانية ، العلم توصل إلى اكتشاف ثمانية مورثة ، أو معلومة على المورثات من أصل خمسة آلاف مليون . ونواة ، ونوية ، وهيولى ، وهيولى جسم الخلية ، وغشاء ، وللغاية حديث آخر ، أما وهيولى فجسم الخلية هو الذي حير العلماء ، حتى إنهم صاحوا : إن الخلية ليست وحدة بناء بل وحدة وظيفة ، ليست أصغر جسم يتتألف منه الجسم ، ماذا في الخلية ؟ الشيء الذي لا يصدق أن في الخلية تُصنع البروتينات ، وفي الخلية مخازن تخزن بها بعض المواد ، وفي الخلية أجهزة تنظيف ، وفي

الخلية أنابيب توصيل ، وفي الخلية مولّات طاقة ، كل هذا في هيولى الخلية ، إذاً ليست وحدة بناء ، بل هي وحدة وظيفية .

الشيء الذي لا يصدق أن الخلية تتقاولت أعمارها بحسب طبيعتها ، فخلايا البشرة لا تعيش أكثر من ثلاثة ساعات ، عمر خلية البشرة ساعات ، كلما دخلت إلى الحمام ، وأردت أن تتوقف نفسك ، شعرت أن شيئاً ينزاح عن جلدك ، إنها الخلايا الميتة ، لا تعيش أكثر من ساعات بينما خلايا الأمعاء الدقيقة الماصة لا تعيش أكثر من ثمانية وأربعين ساعة ، أي يجب أن تعلم علم اليقين أن كل ثمان وأربعين ساعة تتجدد أمعاؤك الدقيقة ، وأن هناك من الخلايا ما يعيش سبعة أيام كخلايا التذوق ، وأن الكريات الحمراء تعيش مئة وخمسة وعشرين يوماً .

ولتكن إذا عشت خمس سنوات يجب أن تعلم علم اليقين أن كل شيء فيك قد تجدد ، إلا موضعين ، خلايا الدماغ والقلب ، لو أن خلايا الدماغ تجددت لنسى كل معلوماتك ، تعلم الطب ثم نسيه ، تعلم الهندسة ثم نسيها ، تنسى كل المعلومات ، والخبرات ، والذكريات ، لذلك شاعت حكمة الله عزّ وجلّ أن تبقى خلايا الدماغ في الجنين حتى الموت ، وكذلك خلايا القلب ، لحكمة أرادها الله عزّ وجلّ .

### العلاقة بين إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل :

الآن الآية الكريمة ، يقول الله عزّ وجل في بعض الأدعية القرآنية :  
﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّلَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَتُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تشاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة آل عمران : ٢٧]

الحقيقة هناك شيء يلفت النظر ، ما العلاقة بين إيلاج الليل في النهار وإيلاج النهار في الليل ؟ وبين إدخال الحيّ في الميت والميت في الحيّ ؟ قال بعض المفسرين : الليل يزداد طوله في الصيف ، ويقصر في الشتاء ، فكان النهار أخذ من الليل في الصيف ، وكأن الليل أخذ من النهار في الشتاء ، هذا معنى قول الله عزّ وجلّ :

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّلَّيْلِ﴾

[سورة آل عمران : ٢٧]

أي اختلاف أطوال الليل والنهار بحسب تتابع الفصول ، هذا معنى .  
المعنى الآخر . . . كيف أن الليل وسط الظلام الشديد يبدأ الفجر ، ويتدخل من الشرق بضيائه شيئاً شيئاً شيئاً ، حتى يعمّ ضياء الأرض ، هذا إيلاج ، وكيف أن الليل بعد غروب الشمس يدخل شيئاً شيئاً شيئاً حتى يزاح الضوء كله . الآن من هو الشاب ، الشاب فيه خلايا ميتة ، ولكن عوامل الحياة أقوى من عوامل الموت ، يدخل فيه الموت شيئاً شيئاً ، لكن عوامل الحياة أقوى منه . من هو الكهل ؟ هو الذي تكافلت فيه عوامل الموت والحياة . من هو الشيخ ؟ هو الذي

غلبت فيه عوامل الموت على عوامل الحياة ، فالخلايا لها عمر ، هناك خلايا ميّة تدخل شيئاً فشيئاً ، هذا معنى قول الله عزّ وجلّ :

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ﴾

[سورة آل عمران : ٢٧]

الخلايا الميّة ، تتوالد خلايا حيّة .

﴿وَتُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[سورة آل عمران : ٢٧]

أيها الأخوة المؤمنون ؛ العمر قصير ، والمهمة خطيرة ، والأبد طويل ، فلا بدّ من أن نستغل الوقت ، لا بدّ من أن نتعلم ، لا بدّ من أن نتعرف على الله عزّ وجلّ ، الموضوع إليها الأخوة أخطر بكثير من أن تحضر خطبة جمعة ، هذا موضوع مصيري يتعلق بمصيرك بعد الموت ، هذا موضوع يتعلّق بالحياة الدنيا .

#### الدعاء :

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشرنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردّنا ، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير ، واجعل الموت راحةً لنا من كل شر ، مولانا رب العالمين ، اللهم اكفنا بحالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصية ، وبفضلك عمن سواك . اللهم استر عوراتنا ، وامن روعاتنا ، وآمنا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخيماً ، وسائل بلاد المسلمين . اللهم اسكننا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، ولا تهلكنا بالسنين ، ولا تؤاخذنا بفعل المسيئين يا رب العالمين . اللهم ما رزقتنا مما نحب ، فاجعله عوناً لنا فيما تحب ، وما زويت عنا ما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم ارزقنا حبك ، وحب من يحبك ، وحب عمل صالح يقربنا إلى حبك . اللهم صن وجوهنا باليسار ولا تبذلها بالإفتار ، فسأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى وندم من منع ، وأنت من فوقهم ولهم العطاء ، وبيك وحدك خزائن الأرض والسماء . اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من رضوانك يا رب العالمين . اللهم إنا نعوذ بك من الخوف إلا منك ، ومن الفقر إلا إليك ، ومن الذل إلا لك ، نعوذ بك من عضال الداء ، ومن شماتة الأعداء ، ومن السلب بعد العطاء . اللهم بفضلك وبرحمتك أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيده ولا تهم إلى ما تحب وترضى ، إنك على ما تشاء قادر ، وبالإجابة جدير .

والحمد لله رب العالمين